

أضواء البيان

@ 94 @ وقال تعالى : { فَلَا وَ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } ، وقال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ رُحْمًا كُلِّ لَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ الذِّسَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } . .

وهذا الإشكال المذكور في آية الزخرف هو بعينه واقع في آية الأنعام ، وآية النحل . .

أما آية الأنعام فهي قوله : { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا رِبَاؤُنَا وَلَا حَرَجًا مِّنْ شَيْءٍ } . .

وأما آية النحل ، فهي قوله : { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا } . .

فإذا عرفت أن ظاهر آية الزخرف وآية الأنعام ، وآية النحل : أن ما قاله الكفار حق ، وأن [لو شاء ما عبدوا من دونه من شيء ولا أشركوا به شيئاً] ، كما ذكرنا في الآيات الموضحة قريباً . .

فاعلم أن وجه الإشكال ، أن [صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق ، قال في آية الزخرف : { مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } أي يكذبون ، وقال في آية الأنعام { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسًا شَدِيدًا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَدَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } ، وقال في آية النحل { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلِمَى الرَّسُولُ إِلَّا اللَّيْلَ الْغُفْلَةَ الْغُفْلَةَ } . .

ومعلوم أن الذي فعله الذين من قبلهم ، هو الكفر بآ [والكذب على آ] ، في جعل الشركاء له وأنه حرم ما لم يحرمه . .

والجواب عن هذا أن مراد الكفار بقولهم { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُم } وقولهم { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا } مرادهم به أن [لما كان قادراً على منعهم من الشرك ، وهدايتهم إلى الإيمان ولم يمنعهم من الشرك . دل ذلك على أنه راض منهم بالشرك في زعمهم .